# الفصل الرابع

## سينما السبعينات وعصر الإنفتاح

حتى نهاية المرحلة الناصرية لم يجرؤ رجالات السينما على الاقتراب من مراكز القوى ، ولما جاء عصر السادات وانتهى عصر مراكز القوى بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ أو كما أطلق عليها ثورة التصحيح ، وتحولت البلاد من مرحلة التحول الاشتراكى إلى الانفتاح ومن نظام الاتحاد الاشتراكى إلى الحياة الحزبية تم اعطاء الضوء الأخضر للسينمائيين بالتعرض لمراكز القوى وما أحدثوه من قمع وتعذيب واغتصاب وارهاب وتشويه وامتهان لحرية الانسان المصرى وكرامته فظهر الفيلم السياسى كما ظهر الفيلم الاجتماعى الناقد الذى تعرض لمعاناة الشعب المصرى خلال هذه الفترة ومن هذه الأفلام نذكر زائر الفجر ، والكرنك ، ووراء الشمس ، وأسياد وعبيد واحنا بتوع الاتوبيس ، والقطط السمان ففى زائر الفجر الذى عرض فى مارس ١٩٧٥ تناول الفيلم مراكز القوى الذين استغلوا مراكزهم فى تحقيق مآربهم وممارستهم للارهاب واشاعتهم للخوف فى نفوس معارضيهم ، كما لفقوا التهم لهم وقاموا بتعذيبهم وتلويث سمعتهم .ومع أن هذا الفيلم تناوله مقص الرقيب بحذف بعض مشاهده وقص بعض لقطاته فان ما تبقى فى الفيلم من مناظر قد أوضح معاناة الانسان المصرى خلال هذه الفترة ، وساعد على تعويض ما حذف منه (١) .

وفى الكرنك (٢) الذى عرض فى عام ١٩٧٦ فتح الفيلم ملفات مراكز القوى وممارستهم الارهابية بدعوى حماية الثورة ، وتعرض حالة التفسخ

---

( ١ ) صباح الخير فى ١٢ مارس ١٩٧٥ مقال لرءوف توفيق تحت عنوان ما حذفته الرقابة من زائر الفجر .

( ٢ ) عن قصة نجيب محفوظ .

الاجتماعى التى تعرضت لها مصر خلال هذه الفترة وحياة اللامبالاه التى عاشتها البلاد وتطرقت أحداثه إلى حرب أكتوبر التى مجدت قيمة الانسان المصرى وغسلت عار الهزيمة ، كما تعرض الفيلم لرداءة أحوال القطاع العام وضياع موارد البلاد نتيجة للاستخدام السئ للسلطة ، واستغلال المستغلين والمفسدين لأقوات الشعب ، والجرائم التى حدثت تحت اسم الاتحاد الاشتراكى والشعارات المضللة التى كان يطلقها النظام والحقيقة منها براء (١) .

وفى « وراء الشمس » الذى عرض فى عام ١٩٧٨ تعرض الفيلم لممارسات مراكز القوى وتلفيقها التهم لمعارضيها ، ومعاناة الانسان المصرى الشريف منها ، كما تعرض لهزيمة الجيش واحكام الطيران ، وتعذيب الطلاب واساتذة الجامعات داخل السجون .

وفى « أسياد وعبيد » الذى عرض فى عام ١٩٧٨ تعرض الفيلم لكبت الحريات ، وقيام مراكز القوى بتعذيب معارضى النظام وارهابهم .

وفى فيلم احنا بتوع الاتوبيس الذى عرض فى عام ١٩٧٩ تعرضت أحداثه لثورة التصحيح التى تمكنت من التخلص من مراكز القوى التى استباحت كرامة الانسان المصرى ، والممارسات غير المشروعة لجهاز المخابرات ، وضرب الفيلم مثلا على ذلك بتواجد اثنين من المواطنين مصادفة فى اتوبيس عام كان يركبه بعض المناوئين للسلطة فاتهما باطلا بانهما من أعداء النظام ، وقبض عليهم وبطش بهم حتى الموت . وقد أدان هذا الفيلم تضخم جهاز المخابرات واستسلام وخضوع افراد الشعب للشعارات الزائفة .

---

( ١ ) الجدير بالذكر أن صلاح نصر مدير المخابرات العامة السابق رفع دعوى ضد مؤلف الفيلم بحجة أن خالد صفوان مدير السجن فى الفيلم انما المقصود به هو ، ولكن المحكمة رفضت دعواه .

وفى القطط السمان الذى عرض فى عام ١٩٨١ تعرض الفيلم لمراكز القوى ، وسوء أحوال البلاد قبيل ثورة التصحيح ، وفساد القطاع العام ، وتهرب كبار المسئولين من الضرائب وتهريبهم للعملة ، وغش مواد البناء وانهيار المساكن على ساكينها ، وأكد الفيلم ضرورة تطهير البلاد من براثن المستغلين والمفسدين ، ثم تعرض لقيام ثورة التصحيح التى استطاعت القضاء على مراكز القوى ومفاسدهم .

وعند تحليلنا لهذه الأفلام يتضح انها بعرضها لمراكز القوى حاولت اثارة الوعى بين الناس ، وذكرتهم بما كان يتم فى السجون ، وناشدتهم بعدم السماح بعودة مراكز القوى مرة أخرى ، ومع ذلك فانها غالت فى مجاملة ثورة التصحيح بشكل واضح .

وفى مواجهة أفلام الانفتاح وثورة التصحيح ظهرت بعض الأفلام التى تبين الآثار السلبية للانفتاح على المجتمع المصرى ، وتوضح حالات الخلل الاجتماعى والانحرافات وجنون ارتفاع الأسعار ، وثراء البعض ثراءً فاحشا على غير أساس ، وضياع من تعلقوا بالاحلام الوردية وسط الزحام ، والهوة الساحقة بين الشعارات والحقيقة واهم الافلام التى تعرضت فيها السينما المصرية لهذه القضية كان فيلم « انتبهوا أيها السادة » الذى كانت له أصداء مدوية بين رجال الفكر والمثقفين خاصة وأنه انتقد فى سخرية لاذعة مظاهر صعود أصحاب الدخول الطفيلية الذين جمعوا الملايين وركبوا أفخم السيارات ، وتملكوا اكبر العمارات واستحوذوا على كل متع الحياة المادية على حساب الكادحين والشرفاء ، وفرضوا مزاجهم غير المتحضر وسلوكهم الجشع على الذوق العام فصاحب ظهورهم موجة رديئة من الغناء الهابط والموسيقى التى تتناسب مع أمزجتهم ، كما صاحب ظهورهم المغالاة فى السكن والتحكم فى مستقبل الشباب الراغب فى الزواج .

والفيلم يتعرض لمفارقات مؤلمة وساخرة بين جامع قمامة [١] ، وشاب جامعى [٢] يجاهد للإنتهاء من إتمام رسالته للدكتوراه فى الفلسفة ، فتطرق إلى جامع القمامة الذى استغل ظروف عمله وتحول من جامع قمامه صغير إلى صاحب مزرعة لتربية الخنازير ثم الى مقاول كبير يتاجر فى بناء العمارات ويمتلك العديد من سيارات النقل الخاصة ويعيش فى بذخ وثراء وينفق الألوف من الجنيهات تحت أقدام الراقصات بالملاهى الليلية على حين ينحت طالب الدكتوراه فى الصخر ، ويحاول تحدى قسوة الحياة بالتمسك بالاخلاق والقيم ومبادئ الشرف . ولما رغب فى الزواج وبدأ البحث عن شقة مع خطيبته ، تعثرت أمورهما وضاقت بهما الحياة ، وتمكن الزبال من دق الاسفين بينهما حتى فضلت خطيبته الزبال صاحب المال والعمارات عليه لدرجة ان اختلطت الأمور بالنسبة له وعاش فى صراع مع نفسه أدى به فى النهاية إلى الإنهيار [٣] .

وإلى جانب ذلك الفيلم تناول فيلم « شقة فى وسط البلد » تفاقم أزمة الاسكان وآثارها السلبية ، وظاهرة انهيار المساكن التى تفاقمت مع الانفتاح وتردى الأوضاع المادية للشباب ، والخلل الذى لحق بالسلم الاجتماعى للمجتمع المصرى أما فيلم المذنبون فيشترك مع هذين الفيلمين فيما يعكسانه من طغيان القيم المادية على الثقافية والاجتماعية والجدير بالذكر انه على الرغم من أن هذه الأفلام كان هدفها التحذير ولفت الانتباه لما تردت اليه الاحوال فى ظل الانفتاح فمن الغريب ان نذكر أن منتجى هذه الافلام كانوا من

---

( ١ ) قام بهذا الدور الفنان محمود ياسين .

( ٢ ) قام بهذا الدور الممثل حسين فهمى .

( ٣ ) قدرى حفنى وآخرون : الانسان المصرى على الشاشة ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ ص ٧١ .

تجار الانفتاح الذين استغلوا اقبال الجماهير على هذه النوعية من الافلام فى محاولة للتنفيس عن أنفسهم ، فوظفوا أموالهم فى صنع هذه الأفلام التى تسخر من الواقع كنوع من التجارة الرائجة (١) .

وهكذا كان الهدف من هذه الافلام اثارة الوعى والتحذير بجانب المتاجرة بعقول الناس وأموالهم مما جعل أفلام سينما السبعينات مزيجا من الفن الجيد والفن الردئ فى نفس الوقت (٢) كما جعلها تشترك فى ابراز السلوك الردئ فيما تعكسه من مظاهر الفساد والرشوة واستغلال النفوذ وطغيان القيم المادية على قيم التعليم والثقافة ، وفيما تعرضه من تناقضات مادية واجتماعية وثقافية توضح مدى تشويه الانسان المصرى وتحطيم قدراته النفسية والاجتماعية .

وإلى جانب ذلك فقد تعرضت السينما لحرب اكتوبر ١٩٧٣ وآثارها فأخذ السينمائيون ما يريدونه منها وصاغوه صياغه فنيه فخرجت أفلامٌ عن هذه الحرب نذكر منها الرصاصة لا تزال فى جيبى ، وحتى آخر العمر ، والعمر لحظة .

وفى فيلم الرصاصة لا تزال فى جيبى رمز احسان عبد القدوس مؤلف القصة إلى مصر وقد أغتصبها أحد أفراد السوء وأن حمايتها وتخليصها من أيدى المعتدى لا يكون إلا بالاستعداد الدائم فأوضح أن شابا جامعياً كان على علاقة حب بابنة عمه التى اغتصبها فى غفلة منه وكيل الجمعية التعاونية فى القرية التى تعيش فيها ، فيقرر الشاب الجامعى الانتقام فيلتحق بالجيش

---

( ١ ) نفسه .

( ٢ ) درية شرف الدين : مرجع سابق ص ١٤٧ .

ليتعلم ضرب النار وفن التنشين ثم يعود إلى قريته بعد التدريب ويقتل الجانى ، وفجأة تقوم الحرب فيتقدم الى ميدان المعركة ، ويقاتل العدو الاسرائيلى حتى يتم الإنتصار عليه ، وفى النهاية يقرر أن يحتفظ دائما برصاصة فى جيبه حتى تكون محبوبته مصر فى أمان من غدر المعتدين .

وفى فيلم آخر العمر يعرض المخرج لقصة حب بين ضابط وفتاة تنتهى بزواجهما ، وبعد قيام حرب اكتوبر يصاب الضابط بعاهه أقعدته . وعلى الرغم من مساندة الزوجة لزوجها فى محنته فقد انتابه الشك فى سلوكها لدرجة جعلت الحياة بينهما مستحيلة وينتهى الفيلم بتجدد الأمل فى شفائه بعد أن نجحت عملية جراحية لزميل له كان قد تعرض لنفس الاصابة . وفى مشاهد طويلة تعرض الفيلم للهجمات الأولى من الطيران المصرى على مواقع العدو وتقدم المشاة والمدفعية خلال عبور قناة السويس .

وفى فيلم العمر لحظة التى عرض فى عام ١٩٧٨ تطرق يوسف السباعى الى ضابط وجندى يعيشان فى جبهة القتال ولكل منهما قصة عاطفية ومشاعر متشابهة فالضابط الذى توفيت زوجته وتركت له طفله يلتقى بصحفية كانت تعانى من أفكار زوجها الانهزامية لتشكيكه فى عدم قدرة مصر على القتال ويتكرر اللقاء بينهما وينقلب إلى قصة حب وعواطف جياشة والجندى تتعلق به امرأة تتعاطى المخدرات وتدير جلسات شرب الحشيش وتجمع الصدفة بين الضابط والجندى فى خندق واحد ويعترف كل منهما للآخر بما فى نفسه من كوامن وشجون ، ويموت الضابط كما يموت الجندى خلال المعارك من أجل مصر ومن أجل حياة أفضل لها .

وعند تقيمنا لهذه الأفلام يتضح انه بجانب محاولاتها بث روح معانى

الوطنية والفداء وتزكية روح المقاومة وحب الوطن بين المواطنين فان نهايتها غالبا مؤلمة ومثيرة للحزن والأسى كما حدث فى « حتى آخر العمر » حيث أصيب الضابط بالعجز الجنسى وبدأت الشكوك تنتابه نحو زوجته وكما حدث فى « العمر لحظة » حيث مات الضابط والجندى بعد أن ترك كل منهما حبيبته فى انتظاره .

ومع أنه يحمد لهذه الافلام تعرضها لنكسة يونيو التى خلخلت المجتمع المصرى من الأعماق ، وآثار هذه النكسة على المصريين فانه كان يمكن لها أيضا أن تتعرض لنشأة الاحزاب والصراع العربى الاسرائيلى واتفاقية السلام ، وسلامة الجبهة الداخلية وغير ذلك من الأحداث التى تعرض لها المجتمع المصرى فى أواخر السبعينات .

obeikandl.com